امرأة مجهولة وحليب جسدي للشاعرة

فايزه سعيد «الانتصار للأنوثة»

مارست المرأة العربية الكتابة الفعلية، واشتغلت على كافة مستويات الإبداع، مع بداية النهضة في أواخر القرن التاسع عشر، حيث برزت أسماء نسوية رائدة، دعت إلى تعليم المرأة، ورفض واقعها الحريمي، وقد تطورت الكتابة النسوية العربية، لتبدو كتابة متنوعة ذات قيمة فنية متقدمة، ووعي متمرد على الوعي الذكوري. وقد ساهم النقد النسوي في التمهيد لنشوء نظرية متميزة في الكتابة النسوية المختلفة عن الكتابة الذكورية، بعد أن وجد هذا النقد خصوصياته في الكتابة النسوية الإبداعية. حيث أصبح بالإمكان الحديث عن وجود كتابة إبداعية نسوية – منذ مطلع القرن العشرين إلى اليوم – وأيضاً التفاعل مع الخطاب النسوي من خلال الرؤية النسوية للعالم في سياقات حواراتها المختلفة مع الآخر الرجل كشريك في الهموم الحياتية من جهة، وكسلطة.

وهذه المسلمة جعلت المرأة الواعية تتخطى حاجز الخوف لتعبر عن ذاتها اصدق تعبير، بيد أن الملفت والمثير للدهشة أن أجد شاعرة

عربية ومن جغرافية تحاذر كثيرا من حرية مطلقة للمرأة في المجال الأدبي هو الأكثر دهشة .

فعن دار الحداثة في بيروت أصدرت الشاعرة السعودية «فايزه سعيد «مجموعتيها الموسومتين «امرأة مجهولة» و«حليب جسدي» والمجموعتين تضمنتا نصوصا غاية في الجرأة والقوة وكأنك تجاه شاعرة «متمردة» بل «كافرة بالواقع» النسوي العربي .

حصلت على حـوار للشاعرة من خلال صحيفة برق للنشر الالكتروني فيه البطاقة الشخصية للشاعرة حيث تقول: «أنا فايزة سعيد؛ شاعرة، أعمل في إحدى المؤسسات الخيرية التي تعنى بشؤون الفقراء والعمل الخيري.ــ اسكن مدينة جدة، طبعًا في السعودية. وتبدأ بتعريف نفسها قائلة:

أنا من أنا..

ــ أنا امرأة خلقت من روح وجسد.. الأرض وورد.

ــ وعشب الأرض وأشجار وصخور وماء وبحر الأرض، عاشقة أنا للحب والفن والحق والخير والحياة والنَّاس والجمال والورق والكتب وكل ماهو انساني. فكري كوني شمولي.. عالمية الفكر والثقافة والعقل، عالمية القلب والروح، عالمية النظرة.امرأة لديها وجهة نظر؛ وعندما يكون لديك وجهة نظر فذلك يعني أن الحياة عندك مسالة مبدأ؛ وأنا كذلك الحياة عندي مسالة مبدأ.

ومن خلال هذه الورقة سنسافر الى عوالم هذه المرأة التي تمثل بالنسبة لي ظاهرة في عصر الانحطاط والظلم والقسوة وتفشي الجهل والتغبية للمرأة العربية وكأننا عدنا لعصر جاهليتنا، والشاعرة «فايزة «ربما هي من النساء اللواتي سجلن حضورا متميزا في ميدان الشعر النسوي الذي هشّم الجدران التي حاولت التضييق على حرية المرأة بالشكل الذي يعيدنا لزمن الحريم .

في مجموعتها امراة مجهولة كان الاهداء تحديا كبيرا شعرت بأنه يعنيني ايضا لتصوري وأنا اتصفح مجاميعها أن الشاعرة ربما تعمل باسم مستعار وهذا شعور مشرعن لمن خبر الواقع تقول في الاهداء:

«إلى ماهر شرف الدين فايزه سعيد ليس اسما مستعارا بل واقع يبارز الظلام، من اجل النور على جزيرة أدمنت الغياب».

بهذا الصوت الصادح القوي استهلت المجموعة فبددت شكوكي التي لم تكن في محلها، ولتغمرني بالفرح والأمل بمستقبل الشعر النسوي العربي، ومهما يكن من أمر فلابد أولا من رفع القبعة لهذه الشخصية العابرة للمسميات المهينة للمرأة في عالمنا الذكوري المهيمن في كل العصور، كذلك عليّ ان أراهن على معطى هذه الشاعرة المقتدرة على النفاذ عبر كل الحواجز الاجتماعية والوصول الى المتلقي بكل قوة.

تقول الشاعرة في نص «تفاصيل صغيرة» ص7.

«صوتك البرتقالي، اليموني، التفاحي، هو مشروبي المفضل كل صباح، ولو استطيع لصنعت منه كوكتيلا بنكهة الكرز، وحبّة الهال، وقدمته شرابا للشمس وعصيرا للقمر».

يحيلنا هذا الخطاب الشعري المباشر الى زمن الشاعرة الأندلسية لما له من هذه السعة في الحضور وتجلي القيمة الشعرية، وهامش الحرية الذي كانت عليه الأندلسية نتيجة للامتزاج الذي كان سائداً بين عناصر تكوين المجتمع الأندلسي، حازت من خلاله المرأة المكانة المرموقة وصارت تتمتع بشخصية وسعت لإثبات ذاتها وحققت ذلك السعي مما لم تألفه البيئات العربية الإسلامية الأخرى بالدرجة نفسها، (فقد من عيوب المشارقة حرمانهم المرأة من تمتعها بقواعد الإنسانية وكأنها لم تخلق إلا للولادة وإرضاع الأطفال والسهر على أشباع حاجات الرجل، وهنا تسجل الشاعرة أول حضور جريء فالخطاب كان للمعشوق بلا أدنى تأويل .

تقول الشاعرة:

«كي تحرض نهداً على العشق، عليك أن تصنع له سفينة، وكي تقول لامرأة شرقية أحبك، عليك أن تهديها المطر، والحقول والسنابل دفعة واحدة، وتتلو ما تيسر لك من كتاب الوجد» امرأة مجهولة ص25.

هو تغزل بالرجل وشعر الغزل ليس وقفاً على الرجل هذا ما حاولت الشاعرة اظهاره وان تمضي قدماً في وضع قدم ثبات في الشعر العربي الحديث، ذلك أن المشاعر البشرية لم تكن حكراً على الذكورة دون الأنوثة، لكن منظومة القيم الدينية، والسياسية، والاجتماعية تمثل البرزخ الفاصل بين الغريب والمألوف مما جعل النظر يتعاقد على أن الخروج من هذا النسق الديني أو الاجتماعي إنمّا هو جرأة من الشواعر دون أن يُعد ذلك خروجاً عن المألوف إن صدر من مشاعر ذكورية تتعاطى مع الغزل بأنماطه المعروفة، وفي هذا المقطع سجلت فايزه أيضا موقفا واضحا لما يعتري المرأة وسجلت كشفا لمشاعرها حين يغازلها الرجل وما قالته كان قبلها من المسكوت عنه من المرأة «وكي تقول لامرأة شرقية أحبك، عليك أن تهديها المطر، والحقول والسنابل دفعة واحدة» هذا هو الذي يشعر المرأة بكينونتها الطبيعية في الحب وتبادل المشاعر. ومثل هذا ليس متاحا لشواعر أخريات في بيئات الشعر العربي المشرقي على الأقل والجزيري على وجه الخصوص لاعتبارات اجتما دينية. وشكل هنا التعبير عن مشاعر الأنثى على لسان الشاعرة فايزه سبقا في هذا المضمار، والتعبير عن هذه المشاعر تعبيراً شعرياً طقساً مغايرا. تقول الشاعرة:

«يطلبون مني أن أوقع قصائدي، واكتب اسمي على غلاف ديواني،

قلت: حسنا، سأوقع بشفتي، وشفتي أجمل من الورد، وأطيب من الكرز، وألذ من الحليب، ص35

وهذا التغزل كونه صادرا من ذات الأنثى فهو ألذ منه لو صدر من الرجل كما هو معتاد، وتثبت الشاعرة هنا فسحة الحرية التي تتمتع بها على المستوى الشخصي، وبذلك رسمت لوحة لمواقف الحب بألفاظ رقيقة صريحة حقيقية أو خيال معبّر عن رغبتها بتجاوز الحواجز.

في هذا المقطع تتجسد الجرأة والتصوير والكشف الجسدي ولم تتوان الشاعرة في إيضاحها، وحُسن تشبيه وقع شفتها ولذته وهو أجدى من التوقيع بالحبر .تقول الشاعرة في موضع أكثر جرأة:

شعرك رصاصة، ونهدي ثائر صغير، شعرك سياسة، ونهدي في بلادي ثقافة ممنوعة، كتابة ممنوعة، عقيدة ممنوعة» ص38.

المرأة الشاعرة اذا ما أرادت ان تسير في مسارات الغزل وتخط لنفسها مسارا فيه وجب عليها القفز على الأعراف والتقاليد ومغادرتها، وأن تكسر الحواجز فتفعل مثلما يفعل الشاعر الرجل وتسير بذات الاتجاه .

تُبرِزُ رؤية الشاعرة فايزه الذاتيَّة في شِعرها الغزلي عبر منظومة الألفاظ وتراكيب اللغة لترسم صورة فنية تعبر بها عما يختلج في صدرها حباً، وعشقاً، وهياماً ونقمة على السائد بل تظهر المشاعر المتناقضة اتجاه الرقيب والواشي وهذه الرؤية المرسومة هي وسيلتها للإفصاح وإعلام

الآخر، ويمكن ان نرى تجليات هذه الألفاظ في مفردة «ممنوعة» التي كررتها كثيرا في هذا المقطع كذلك مفردة «نهدي» التي تكررت مرتين وهي محسوبة بذكاء .

سارت الالفاظ في المقطع اعلاه باتجاهين وظفتها الشاعرة فايزه:

الأول مكنتها جرأتها في منح ألفاظها طاقة إيحائية داخل النص تساعدها في التعبير عن مضامين ومعاني موضوعها، والثاني وبالجرأة نفسها استعملت الألفاظ استعمالاً مباشراً بألفاظ واضحة ودالة على المعنى المراد إظهاره دون أي ترميز أو مرادف. ووفقت تماما في استعمال الآليات المطلوبة وضمن آليات حوارية كانت اللغة وسرعة البديهية والتكرار اللفظي إحدى هذه الآليات.

وفي مجموعتها الثانية الموسومة «حليب جسدي» تقول:

«إن لم يكفك لبن نهدي، ... حليب جسدي، اشرب من دمع روحي» ص11، حليب جسدي .

منحت الشاعرة الجسد انوثة وحركية تحركها الغريزة وبذلك أصبح للجسد لغة ورسمت له صورة طاغية عبر حسية الصورة الشعرية وليس صورة الخيلاء «لبن النهد» و«حليب الجسد» هي موطن الجرأة وإنما التمكين والعطاء بأنوثة ورقة وبلغة صريحة دون إيحاء لهذا التمكين،، فقد كان المشهد مشهداً حسياً تحركه الشهوة

وتحدد نشاطه الرغبة بصورة مستمرة، لذلك نجد تأكيدا على مشاهد صورية حسية لمغريات الجسد لم تسبق شاعرة لهذا المعنى في عصرنا الا الشاعرة الجريئة فايزه فالأمر متعلق بـ إفراغ حاجة الجسد من خلال الكفاية التي أشارت إليها .

والحقيقة أن الصورة الشعرية على جرأتها ولصدورها من امرأة جمعت إلى الصراحة حسن التصوير وقمة الايثار كما عمدت إلى صيغة الجد الساخرة في ايجاد البديل المناسب «لبن النهد – جليب الجسد» وبالمجمل العام فان اللغة لتجربة الشاعرة امتازت بالبساطة والسهولة، وهي قريبة الفهم، والأساليب البلاغية المتبعة سواء أكانت إنشاءً أم خبراً؟ فأنها كانت خاضعة لمتطلبات النص المتغيرة، وهى في معظمها بسيطة، رقيقة، أنثوية الألفاظ والتعبيرات، لكنها جريئة في المعاني والألفاظ وهذا ما يحسب للشاعرة .

تقول في قصيدة «لجوء جنسي»:

عندما راح نهدي يتشقق من العطش

قرر في قمر تلك الليلة وبسرية تامة

التسلل عبر نوافذ العشق للوصول الى شفتيك

وطلب اللجوء الجنسي ... ص38، حليب جسدي

وهل أكثر جرأة من ذلك إنها كانت تفصح عن رغبتها وعشقها وهي من يتسلل سرا إليه لطلب «اللجوء الجنسي» في النص عنصر التشويق بل الإغراء ورغبة الجسد العارمة للجنس هي لا تهاب في ذكر ما يدور بخلدها وما يحتاجه جسدها، وتدخل لمغامرة عاطفية سرية تامة لتنال ما تريد لما فيها من رغبة وغرام كبير كاسرة كل قيود المجتمع وممنوعاته التي صادرتها وكل حقوقها في ممارسة دورها الأنثوي،

ومن خلال هذا الاستعراض الموجز أقول:

«سجلت الشاعرة فايزه سعيد حضورا بارزا وتخطت الكثير من العقبات لتظهر بهذا الجلاء والوضوح في نسق شعري متميز وقد أثبتت الشاعرة قدرتها على الإبداع والتعبير عن نفسها شعراً تتجلى فيه المخيلة وتتضح فيه الجرأة المبنية على قوة الشخصية وبهذا فهي فاقت قريناتها في بيئات شعرية عربية ما زالت تراقب اللفظ والجملة والنص وتتبع خطوات الشاعرة لتطبق عليها النصوص العرفية والحدود الشرعية لخروجها عن المألوف عابرة معطيات بيئتها المنغلقة على نفسها والتعبير بصدق تام عن ذاتها كمخلوق، فكانت الأجرأ في تناول موضوعات الشعر من الأخريات لاسيما في موضوع الجسد الانثوي ومعانيه فتصدرت بهذه الجرأة صفوف الشواعر اللواتي ما زلن تحت هيمنة العرف. وازعم انها تقف الآن نداً للشعراء الكبار عبر لوحات شعرية كبيرة».